

الوسطية

من خصائص أمة الإسلام وأهل السنة

بقلم
الدكتور محمد بن موسى آل نصر



دار التوحيد والسنة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الوسطية

من خصائص أمة الإسلام وأهل السنة

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٧٥٤٨

دار التوحيد والسنة

الإدارة : ٣٤٧ مساكن ضباط زهراء الحي العاشر - مدينة نصر - القاهرة - ج.م.ع
جوال: ٠٠٢/٠١٠٥٨٥٠١٤٧ هاتف وفاكس: ٠٠٢٠٢/٤١٠٢٨٩٦
ص.ب: ٩٦٢٥ - قرية الأطفال
www.Dar-TandS.com
E-Mail:info@Dar-TandS.com

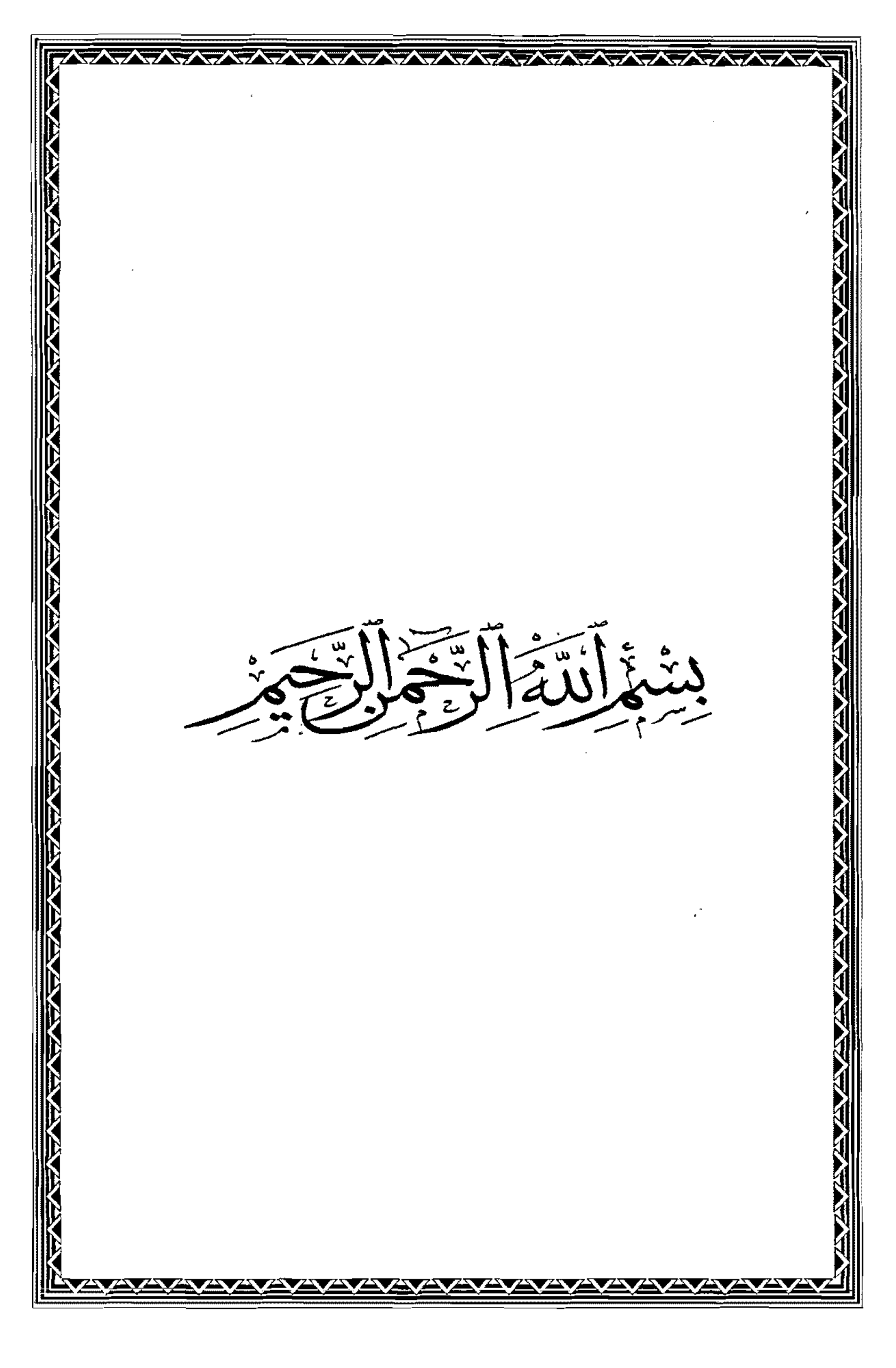


الوسطية

من خصائص أمة الإسلام وأهل السنة

بقلم
الدكتور محمد بن موسى آل نصر

دار التوحيد والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم





الوسطية

إنَّ الْحَمْدَ لله، نَحمَدُه، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْده الله فَلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هَادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد:

لقد كان من حكمة الله تعَالَى أن اختار الوَسَطيَّة والتوازن شعارًا مُمَيزًا لِهَذه الأمة الَّتِي هي آخر الأمم، ولِهَذه الرِّسَالة التِي ختَمَ بِهَا الرِّسَالات الإلَهيَّة، وبعث بِهَا خَاتَم أنبيائه رَسُولاً للناس جَميعًا ورَحْمَة للعَالَمِين، وإلَى هذه الْحَقيقة البارزة يشير قوله تعَالَى مُخَاطبًا أمة الإسلام وفِي مقدمتهم صَحَابة رسول الله ﷺ -رضوان الله عليهم-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

وهَكَذَا شريعة الإسلام فهي "جَاريةٌ فِي التكليف بِمُقتَضَاهَا عَلَى الطريق الوَسَط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الدَّاخل تَحت كسب العبد من غير مشقَّة عليه ولا انْحِلال؛ بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي فِي جَميع الْمُكَلفين غاية الاعتدال ...

فإن كان التشريع لأجل انْحِرَاف الْمُكلف، أو وجود مظنة انْحِرَافه عن الوَسَط إلَى أحد الطرفين؛ كان التشريع رادًّا إلَى الوَسَط

الأعدل، لكن على وجه يَميل فيه إلَى الْجَانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، وفعلُ الطبيب الرَّفيق يَحملُ الْمَريضَ على ما فيه صلاحُهُ بِحَسَب حاله وعادته وقوة مرضه وضعفه، حتَّى إذا استقلَّت صحته؛ هيَّأ له طريقًا فِي التدبير وسطًا لائقًا به فِي جَميع أحواله.

فهكذا تَجد الشريعة أبدًا فِي مَوَاردهَا ومَصَادرهَا جارية على هذا الترتيب الوَسَط الْمُعتَدل، فإذا نظرت إلَى كُلِّيَّة من كُلِّيات الشريعة فتأملتها وَجَدتَهَا حَاملة على التوسط، فإن رأيت ميلاً على جهة طرف من الأطراف فذلك لعلاج انْحِرَاف واقع أو مُتَوَقع فِي أحد الْجَانبين:

فَطَرَف التشديد -وعَامَّة ما يكون فِي التخويف والترهيب والزجر-: يؤتى به فِي مُقَابلة مَنْ غلب عليه الانْحِلال فِي الدِّين.

وَطَرَف التخفيف: يؤتى به فِي مُقَابلة مَنْ غَلَبَ عليه الْحَرج فِي التشديد، فإذا لَمْ يكن انْحِرَاف إلَى هذا أو ذاك رأيت التوسط لائحًا، ومسلك الاعتدال واضحًا، وهو الأصل الذي يُرجع إليه، والْمَعقل الذي يُلجأ إليه"[١].

---

(١) انظر: "الْمُوَافَقَات" للإمام الشاطِبي (٢/١٦٣).

❊ فالشرائع ثلاثة:

- شريعة عدل فقط.

- وشريعة فضل فقط.

- وشريعة تَجمع العدل والفضل؛ فتوجب العدل وتندب إلَى الفضل، وهذه أكمل الشرائع الثلاث، وهي شريعة القرآن الذي يُجمع فيه بين العدل والفضل؛ ولِهَذَا كانت شريعة التوراة يغلب عليها الشِّدَّة، وشريعة الإنْجيل يغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جَامعة بين هذا وهذا.

ومن وَسَطِيَّة مَنهَج أمة مُحَمَّد ﷺ وشريعتها -فهو منهج وسط لأمة وسط-: منهج الاعتدال والتوازن الذي سَلم من الإفراط والتفريط، ومن الغلو والتقصير.

قال الإمام الأوزاعي -رَحِمَه الله-: "ما من أمرٍ أمَرَ الله تعَالَى به إلاَّ عَارَضَ الشيطانُ -فيه- بِخَصلتين؛ لا يُبَالِي أيهما أصاب: الغلو أو التقصير"(١).

---

(١) "الْجَواب الذي انضبط" (ص٥٣)، و"الْمَقَاصد الْحَسَنَة" (ص٢٠٥)، كلاهُمَا للحافظ السخاوي -رَحِمَه الله-.

وقال الإمام وهب بن منبه: "إنَّ لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالوَسَط من الأشياء"(١).

وإنَّ وَسَطِيَّة الإسلام من أبرز خَصَائصه؛ ولذلك نَجد الإسلام يُقَدِّم الْمَنهَج الوَسَط فِي كل شأن من شئون الْحَيَاة، ولا يكتفي بِهَذا، بل يُحَذِّر من الْمَصير إلَى أحد الانْحِرَافين: الغلو والإفراط، والتقصير والتفريط؛ مصداقًا لقوله تعالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

ودين الله وَسَط بين الْجَافِي عنه والغَالِي فيه، كالوادي بين جبلين، والْهُدَى بين ضلالتين، والوَسَط بين طرفين ذَميمين، فكما أن الْجَافِي عن الأمر مُضَيع له، فالغَالِي فيه مُضَيع له كذلك، هذا بتقصيره عن الْحَدِّ، وهذا بتجاوزه الْحَد(٢).

قال الله تعالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) "الْمَقَاصد الْحَسَنة" (ص٣٣٢).

(٢) انظر: "مَدَارج السَّالكين" (٢/٤٩٦) للإمام ابن قيم الْجَوزيَّة.

قال ابن القيم:

"وهذا الصِّرَاط الْمُستَقيم الذي وَصَّانا الله تعَالَى باتِّباعه هو الصِّرَاط الذي كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابُه، وهو قَصْدُ السَّبيل، وما خرج عنه فهو من السُّبل الْجَائرة.

لكنَّ الْجَوْرَ قد يكون جَوْرًا عَظيمًا عن الصِّرَاط، وقد يكون يسيرًا، وبين ذلك مراتب لا يُحصيها إلاَّ الله، وهذا كالطريق الْحِسِّيِّ؛ فإنَّ السالك قد يعدل عنه ويَجُور جَوْرًا فَاحشًا، وقد يَجُورُ دون ذلك.

فالْمِيزَان الذي تُعرف به الاستقامة عَلَى الطريق والْجَور عنه: هو مَا كَانَ رَسُول الله ﷺ وأصحابه عليه.

والْجَائر عنه إمَّا مفرِّطٌ ظَالِم، أو مُجتَهد مُتأوِّل، أو مُقلِّد جَاهل، وكلُّ ذلك قد نَهَى الله عنه، فلم يبق إلاَّ الاقتصاد والاعتصام بالسنَّة، وعليها مَدَار الدِّين"(١).

وكَمَا أنَّ أمَّة الإسلام وَسَط بين الْمِلَل، فأهل السنَّة والْجَمَاعَة -الفرقة الناجية الْمَنصُورَة- وَسَط بين النِّحَل.

---

(١) "إغاثة اللهفان" (١/١٣١).

* معنى الوسطية:

في اللغة: من التوسط والوَسَط، "والوَسَط بالتحريك: اسم لعَيْنِ ما بين طرفَي الشيء، كمركز الدائرة. وبالسكون: اسم مبهم لداخل الدائرة مثلاً"[(١)].

"فمن الأصل الوَسَط من كل شيء: أعدله، ووَسَط الشيء: ما بين طرفيه"[(٢)].

فَمَعَانِي الوَسَطِيَّة راجعة إِلَى العدالة والْخَيرِيَّة والفضل والتوسط والبَيْنِيَّة فِي الكميَّة والكيفيَّة، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جَفَاء.

قال الله تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال ﷺ: «**يَجيء نوح وَأَمَّتهُ، فيَقُول الله تعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقُول: نعَمْ أي رَب. فيَقُول لأمَّته: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقُولون: لا، مَا جَاءَنا مِنْ نبِيٍّ. فيَقُول لنوح: مَنْ يَشْهَد لَكَ؟ فيَقُول: مُحَمَّد ﷺ وَأمَّتهُ، فنَشْهَد أنهُ قَدْ**

(١) "نظم الدرر" للبقاعي (١/٢٦١)، وانظر: "لسان العرب" (٧/٤٢٨).

(٢) الْمَرجع السابق (١/٢٦٢).

بَلَّغَ، وهو قول الله -جل ذكره-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]. وَالْوَسَط: الْعَدل»[1].

قال الإمام الطبري فِي تفسير الآية:

"يعني -جَلَّ ثناؤه- بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾. كَمَا هَدْيَنَاكُمْ أيها الْمُؤمنون بِمُحَمَّد ﷺ وبِمَا جَاءَكُمْ به من عند الله، فخَصصنَاكُمْ بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملَّته، وفَضَّلناكُمْ بذلك عَلَى مَنْ سواكم من أهل الْمِلَل، كذلك خَصصنَاكُمْ فَفَضَّلناكُمْ على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمَّة وَسَطًا.

وقد بَيَّنا أن "الأمة" هي: القرن من الناس والصِّنف منهم وغيرهم.

وَأمَّا "الوَسَط": فإنه فِي كلام العرب الْخيَارُ.

يقال منه: "فلان وَسَطُ الْحَسَب فِي قومه" أي: متوسط الْحَسَب، إذا أرادوا بذلك الرفع فِي حسبه، و"هو وَسَطٌ فِي قومه، ووَاسطٌ"، كَمَا يُقَال: "شاة يَابسةُ اللبن، ويَبَسةُ اللبن".

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٨٣٤٩)، والترمذي (٢٩٦١) وغيرهُمَا من حديث أبِي سعيد رضي الله عنه، وبنحوه أخرج الطبري فِي "تفسيره" (٢/٧) من حديث أبِي هريرة.

وكَمَا قَالَ -جَلَّ ثناؤه-: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾.

وأنا أرى أنَّ "الوَسَط" فِي هذا الْمَوضع: هو (الوَسَط) الذي بِمَعنَى: الْجُزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل (وسَط الدار) مُحَرَّك الوَسَط مُثَقَّله، غيرَ جائز فِي "سينه" التخفيف.

وأرى أنَّ الله -تعَالَى ذِكْرُه- إنَّمَا وَصَفهم بأَنَّهُم "وسَط"؛ لتوسطهم فِي الدِّين:

فلا هُمْ أهلُ غلوٍّ فيه: غلوَّ النصارى الذين غَلَوا بالتَّرَهُّبِ، وقِيلهم فِي عيسى ما قالوا فيه.

ولا هُمْ أهلُ تقصير فيه: تقصيرَ اليهود الذين بَدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكَذَبوا عَلَى رَبِّهم، وكَفَرُوا به.

ولكنهم أهلُ توسُّطٍ واعتدالٍ فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلَى الله أوسطها.

وأمَّا التأويل؛ فإنه جاء بأن "الوسط": العدلُ، وذلك مَعنَى الْخيَار؛ لأنَّ الْخيَارَ من الناس عُدولُهُم ...

القول في تأويل قوله تعَالَى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾. و"**الشهداء**": جَمع شهيد.

فمَعَنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمَّةً وسَطًا عُدولاً، لتكونوا شهداء لأنبيائي ورُسلي على أمَمِهَا بالبلاغ، أنَّهَا قد بلَّغت مَا أُمِرتْ ببلاغه من رسَالاتِي إلَى أمَمِهَا، ويكون رَسُولِي مُحَمَّدٌ ﷺ شهيدًا عليكم، بإيْمَانكم به وبِمَا جاءكم به من عندي"[١].

وقال الإمام القرطبي في تفسيرها:

"وكَمَا أنَّ الكعبة وَسَط الأرض، كَذَلكَ جَعَلناكُم أمَّةً وَسَطًا؛ أي: جَعَلناكُم دون الأنبياء وفَوق الأمم، والوَسط: العَدْل.

وأصل هذا: أنَّ أحْمَدَ الأشياء أوسطها.

وروى الترمذي، عن أبِي سعيد الْخُدري، عن النَّبِي ﷺ فِي قوله تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. قال: «**عَدْلاً**». قال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

وفِي التنْزيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم:٢٨]. أي: أعدلُهُم وخيرهم.

وقال زهير:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِم

إِذَا نَزَلَتْ إِحْــدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

---

(١) "جامع البيان" (٢/٦-٨).

وقال آخر:

أَنْتُمْ أَوْسَطُ حَيٍّ عَلِمُوا
بِصَغِيرِ الأَمْرِ أَو إِحْدَى الكُبَر

وقال آخر:

لا تَذْهَبَنَّ فِي الأُمُورِ فَرَطا لا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطا
وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطا

ووَسَط الوَادي: خير موضع فيه وأكثره كلأً وماءً.

ولَمَّا كان الوَسَط مُجَانبًا للغلو والتقصير كان مَحْمُودًا، أي: هذه الأمة لَمْ تَغْلُ غلوَّ النصارى فِي أنبيائهم، ولا قَصَّرُوا تقصير اليهود فِي أنبيائهم"(١).

وقال **الإمام البقاعي**: "لَمَّا بيَّن استقامة القبلة الَّتِي وَجَّهَهُم إليها؛ عرف أنَّهَا وَسَط لا جَورَ فيها، فأتبع ذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾. أي: ومثلمَا جعلنا قبلتكم وَسَطًا؛ لأنَّهَا إلَى البيت العتيق الذي هو وَسَط الأرض، وهو بناء إبراهيم عليه السلام هو أوسط الأنبياء، وهو مع ذلك خيار البيوت؛ فهو وَسَط بكل مَعنَى.

---

(١) "الْجَامع لأحكام القرآن" (٢/١٥٣-١٥٤).

﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾: بالْهِدَاية إليه فِي الاستقبال، وإلَى غيره مِمَّا نأمركم به.

﴿أُمَّةً﴾: **قال الْحرَالِي:** من الأَمِّ وهو تتبع الْجُملة والعدد بعضها لبعض إلَى ما ينتهي لإمام أول.

فالإمام والأمة كالْمُتَقَابلين، الإمام قاصد أمَمًا، والأمَّة قاصدة إمامها الذي هو أمَّمهَا، والإمام ما بين اليدين بِمَشهَد الْحِسِّ وسبيل القَصد.

﴿وَسَطًا﴾: أي: شريفة خيارًا؛ لأنَّ الوَسَط العدل الذي نسبة الْجَوَانب كلها إليه سَوَاء، فهو خيار الشيء.

قال أبو تَمَّام الطائي:

كَانَتْ هَيَ الوَسَطُ الْمَحْمِيُّ فَاكْتَنَفَتْ
بِها الْحَــوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَــا

وسالك الوَسَط من الطرق مَحفُوظ من الغلط، ومتَى زَاغَ عن الوَسَط حَصَلَ الْجَور الْمُوقع فِي الضَّلال عن القصد؛ ففي هَذَا أَنَّهُم لَمَّا ادَّعَوا الْخُصُوصيَّة؛ كذبوا وردَّت حُجَجهم، ثُمَّ أثبتت الْخُصُوصيَّة لِهَذه الأمَّة ...

ولَمَّا أثبت لَهُم الوَسَط الذي من حلَّه؛ كان جديرًا بألاَّ يَخفى عليه شيء من الْجَوانب، واستلزم ذلك كونه خيارًا قال: ﴿لِّتَكُونُواْ﴾. أي: أنتم لا غيركم: ﴿شُهَدَآءَ﴾. كَمَا أفاده التعبير بِهَذه دون أن يقال: لتشهدوا.

وقال: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. أي: كَافَّة.

ولَمَّا كان الرَّسُول ﷺ أوسطهم قال: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾. أي: لا غيره بِمَا اقتضاه اختصاصه بكونه وَسَط الوَسَط.

﴿عَلَيْكُمْ﴾. خَاصَّة.

﴿شَهِيدًاۗ﴾ بأنكم تابعتموه وصَدَّقتمُوه؛ فكنتم خير أمَّة أخرجت للناس، وبأنه قد بَلَّغَكُم مدة حياته، فَلَمَّا مات خلف فيكم كتابًا معجزًا متواترًا لا يغسله الْمَاء، ولا تَحرقه النار؛ لأنه مَحفُوظ فِي الصُّدُور، مَتلو بالألسن إلَى أن يأتِي أمر الله؛ ولذلك عَبَّر بأداة الاستعلاء.

فافهم صوغ الكلام هكذا: إنَّهُم حَازُوا شَرَفَيْن:

أنه لا يشهد عليهم إلاَّ الرَّسُول.

وأنه لا يُحتاج فِي الشهادة عَلَى سائر الأمم إلَى غير شهادتِهم؛ دفعًا لتوهم أنَّ غيرهم يَشْهَد عليهم كَمَا شَهدُوا عليهم، ولتوهم أنَّ

غيرهم لا يكتفى فِي الشَّهَادَة عليه إلاَّ بشَهَادَة الرَّسُول، كَمَا لَمْ يكتفِ فيهم إلاَّ بذلك"(١).

وقال العلامة عبد الرَّحْمَن السعدي:

"ذَكَرَ فِي هذه الآية السبب الْمُوجب لِهدَايَة هذه الأمَّة مُطلقًا بجَميع أنواع الْهدَايَة، ومنَّة الله عليها، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. أي: عَدلاً خيَارًا، وما عَدَا الوَسَط فالأطراف داخلة تَحت الْخَطَر.

فَجَعَلَ الله هذه الأمَّة وَسَطًا فِي كل أمور الدِّين:

وَسَطًا فِي الأنبياء: بين من غَلا فيهم كالنصارى، وبين مَنْ جَفَاهُم كاليهود؛ بأن آمنوا بِهم كلهم على الوجه اللائق بذلك.

ووَسَطًا فِي الشريعة: لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تَهَاون النَّصَارَى.

وفِي باب الطَّهَارة والْمَطَاعم: لا كاليهود الذين لا تصح لَهُم صَلاة إلاَّ فِي بِيَعِهِم وكنائسهم، ولا يُطَهِّرهم الْمَاء من النَّجَاسَات،

---

(١) "نظم الدرر" (١/٢٦١-٢٦٣).

وقد حُرِّمَت عليهم الطيبات عُقُوبَة لَهُم، ولا كالنَّصَارَى الذين لا يُنَجِّسُونَ شيئًا، ولا يُحَرِّمُون شيئًا، بل أباحوا مَا دَبَّ ودَرَج.

بل طَهَارتُهُم أكمل طهارة وأتَمُّهَا، وأباح الله لَهُم الطيبات من الْمَطَاعم والْمَشَارب والْمَلابس والْمَنَاكح، وحَرَّم عليهم الْخَبَائث من ذلك، فلهذه الأمَّة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجَلّهَا، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والْحلم، والعدل والإحسان ما لَمْ يهبه لأمَّة سواهم، فلذلك كانوا: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين معتدلين.

ليكونوا: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يَحْكُمُون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يَحكم عليهم غيرهم، فَمَا شهدت له هذه الأمَّة بالقبول؛ فهو مقبول، وما شهدت له بالرَّدِّ؛ فهو مَرْدُود"[1].

* الأمر بالتوسط والاعتدال في جميع الأمور:

قَالَ تعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل:٩٠].

وقَالَ: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الأعراف:٢٩].

---

(١) "تيسير الكَرِيْم الرَّحْمَن" (ص٧٢)، ط. جَمعيَّة إحياء التراث.

والآيات الآمرة بالعدل، والناهية عن ضدِّه كثيرة.

والعدل فِي كل الأمور: لزوم الْحَدِّ فيها، وألاَّ يَغلُو ويَتَجَاوز الْحَدَّ، كَمَا لا يُقَصِّر ويَدَع بعض الْحَقِّ.

ففي عبادة الله: أمر بالتمسك بِمَا كَانَ عليه النَّبِي ﷺ فِي آيات كثيرة، ونَهَى عن مُجَاوَزَة ذلك، وتعَدِّي الْحُدُود، وذَمَّ الْمُقَصِّرين عنه فِي آيات كثيرة.

فالعبادة الَّتِي أمَرَ الله بِهَا: ما جَمَعت الإخلاص للمعبود، والْمُتَابَعَة للرسول، وما فُقدَ فيه الأمران أو أحدهُمَا؛ فهي من الأعمال اللاغية.

وفِي حَقِّ الأنبياء والرَّسُول ﷺ: أمر بالإعتدال وهو الإيْمَان بِهم، ومَحبَّتهُم الْمُقَدَّمة عَلَى مَحبَّة الْخَلق، وتوقيرهم، واتباعهم، ومعرفة أقدارهم ومَرَاتبهم الَّتِي أكرمهم الله بِهَا.

ونَهَى فِي آيات كثيرة عن الغلو فيهم، وهو أن يُرفَعُوا فوق منْزلتهم الَّتِي أنزلَهُم الله، ويُجْعَل لَهُم من حقوق الله الَّتِي لا يُشَارِكه فيها مُشَارِك شيء.

كما نَهَى عن التقصير فِي حَقِّهم فِي الإيْمَان بِهم، ومَحبَّتهم، وترك توقيرهم، وعَدَم اتباعهم.

وذَمَّ الغالين فيهم؛ كالنصارى ونَحوهم فِي عيسى فِي آيات كثير.

كَمَا ذَمَّ الْجَافين لَهُم؛ كاليهود حين قالوا فِي عيسى ما قالوا.

وذَمَّ مَنْ فَرَّق بينهم، فَآمن ببعض دون بعض، وأخبر أن هذا كفر بِجَميعهم.

وكذلك يَتَعَلَّق هَذَا الأمر فِي حَقِّ العُلَمَاء والأولياء؛ يَجب مَحبَّتهم، ومعرفة أقدارهم، ولا يَحلُّ الغلو فيهم وإعطاؤهم شيئًا من حَقِّ الله وحَقِّ رسوله الْخَالص، ولا يَحلُّ جَفَاؤهُم ولا عَدَاوتُهُم، فَمَنْ عَادَى لله وليًّا؛ فقد بارزه بالْحَرب(١).

وأمَرَ بالتَّوَسُّط فِي النَّفَقَات والصَّدَقَات، ونَهَى عن الإمساك والبُخل والتقصير، كَمَا نَهَى عن الإسراف والتبذير.

وأمر بالقوة والشَّجَاعَة بالأقوال والأفعال، ونَهَى عن الْجُبن، وذَمَّ الْجُبَناء، وأهل الْخَوَر، وضُعَفَاء النفوس، كَمَا ذَمَّ الْمُتهَورين الذين يلقون بأيديهم إلَى التهلكة.

---

(١) كَمَا فِي الْحَديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

وأمَرَ وحَثَّ على **الصَّبر** فِي آيات كثيرة، ونَهَى عن الْجَزَع والْهَلَع، والسَّخَط، كما نَهَى عن التجبر وعَدَم الرَّحْمَة والقَسَاوَة فِي آيات كثيرة.

وأمَرَ بأداء حُقُوق مَنْ له حَق عليك: من الوالدين والأقارب والأصحاب ونَحوهم، والإحسان إليهم قَولاً وفعلاً، وذَمَّ مَنْ قَصَّر فِي حَقِّهم أو أسَاءَ إليهم قَولاً وفعلاً، كَمَا ذَمَّ مَنْ غَلا فيهم وفِي غيرهم حتَّى قَدَّم رِضَاهُم عَلَى رضا الله، وطاعتهم عَلَى طَاعَة الله.

وأمَرَنا بالاقتصاد فِي الأكل والشرب واللباس، ونَهَى عن السرف والترف، كَمَا نَهَى عن التقصير الضَّار بالقلب والبدن.

وبالْجُملة: فَمَا أمر الله بشيء إلاَّ كان بين خُلقين ذَميمين: تفريط، وإفراط"[١].

ﮋ ❋ ❋ ❋ ﮊ

---

(١) "القَوَاعد الْحِسَان فِي تفسير القرآن" للعلامة عبد الرَّحْمَن السعدي (ص٨٣-٨٥) مع شرحه للعلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُمَا الله-.

وسطية أمة الإسلام بين الأمم

※ وذلك من وجوه:

١- وسط في حق الله:

فليست أمَّة الإسلام كاليهود: تنسب إلَى الله مَا لا يليق به، وتصفه بالنقائص؛ فتلحق الْخَالق بالْمَخلوق، وتعبد مع الْخَالق عُزيْرًا، وتقول: إنه ابن الله، وتقول: يَدُ الله مَغلولة، وأنه تَعِبَ من الْخَلق فاستراح يوم السبت، وأنه فقير وهُمْ أغنياء، وأنه تَعِبَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَات والأرض، وأنه رَمِدَ وعَادَتْهُ الْمَلائكة، وأنه بكى على طوفان نوح عليه السلام، والذين منعوا الْخَالق أن يبعث رسولاً بغير شريعة الرَّسُول الأوَّل.

وليست كالنصارى: القائلين بالتثليث والَّتِي ألْحَقَت الْمَخلوق الناقص بالرَّبِّ الكامل، الذين: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

أمَّا هذه الأمَّة: فَلَمْ تصف الرَّبَّ بالنقائص، ولَمْ تُلحق الْمَخلوق به، فهي تعبد إلَهًا وَاحدًا له صفات الكمال والْجَلال.

وفِي مُقَابل ذلك ليست كالدَّهريَّة النافين للإله، وليست كَالْمَجُوس والْمَانويَّة القائلين بتَعَدُّد الآلِهَة.

٢- وسط في حق أنبياء الله - عليهم السلام -:

فليست أمَّة الإسلام كاليهود: تسب الأنبياء، وتنتقصهم، وتكفر بِهم، وتستحل دماءهم، الَّتِي كَذَّبت من بعد موسى إلَى الْمَسيح -عليهما السَّلام-، ثُمَّ كذبت مُحَمَّدًا ﷺ مع علمهم بدينهم وتغييره وتَحريفهم له، والقائلين بأن عيسى عليه السلام ولد بغيَّة، وكُلَّمَا جاءهم رَسُول بِمَا لا تَهْوَى أنفسهم؛ كَذَّبوا فَرِيقًا، وقتلوا فريقًا.

وليست كالنصارى: الذين غَلَوا فيهم حتَّى جعلت عيسى ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة -تعَالَى الله عن ذلك- الذين بَدَّلوا دين الْمَسيح عليه السلام، ثُمَّ كَذَّبوا مُحَمَّدًا ﷺ.

فهذه الأمَّة: تؤمن بِهم، وتعتقد أنَّهُم خلق الله مَعصُومُون،

خَصَّهُم الله بالوحي والرِّسَالة اصطفاءً واختيارًا لَهُم، وتفضلاً وتكرمًا عَلَى عباده بإقَامَة الْحُجَّة عليهم، وأنَّ عيسى عَبْدُ الله ورَسُوله، وكلمته ألقاها إلَى مَريَم وروح منه.

٣- وسط في الطهارة من النجاسات:

فليست أمَّة الإسلام كالنصارى: التاركين للطَّهارة، فقد يُصَلي أحدهم فِي كنيسته وقد أصاب ثوبه بول.

وليست كاليهود: الذين إذا أصابتهم نَجَاسة قَرَضُوهَا من الثوب، فلا يُطَهرهَا ماء الدنيا كلُّه.

أمَّا هذه الأمَّة: فلا يُصَلون بالنجاسة، ولا يَشُقُّون الثوب الذي أصابه نَجَاسة، بل يغسلونه حتَّى تزول النجاسة منه، ويصلون به.

٤- وسط في مجالسة المرأة الحائض:

فاليهود: يبتعدون عن الْحَائض؛ لا يؤاكلونَهَا، ولا يَجْتمعُون بِهَا.

والنصارى: يُجَالسُونَهَا، ويُؤاكلونَهَا، بل ويُجَامعُونَهَا، بل يُبَاشرُون جَميع النجاسات.

أمَّا الْمُسلم: فلا يبتعد عن زوجته الْحَائض، بل يؤاكلها، ويباشرها فِي غير الْجِمَاع.

٥- **وسط في المحرمات من المآكل والمشارب:**

فاليهود: حُرِّم عليهم كل ذي ظفر كالإبل والبط، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦].

والنصارى: استحلوا الْخَبَائث، بل وجميع الْمُحَرَّمَات.

أمَّا هذه الأمَّة: فَأُحِلَّتْ لَهُم الطيِّبات، وحُرِّمَتْ عَلَيهم الْخَبَائث.

٦- **وسط في حكم القصاص:**

فاليهود: فرض عليهم القصاص.

والنَّصَارَى: فرض عليهم التسامح عن القصاص.

أمَّا هذه الأمَّة: فهي مُخَيَّرَة بين القصَاص، والدِّية، والعَفو.

❊ ❊ ❊

وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة(١)

* **وذلك من وجوه:**

١- وسط في صفات الله بين المعطلة والممثلة:

فالْمُمَثلة شبهوا صفات الله بصفات الْمَخلوقين، وغَلَوا فِي الإثبات، وضَرَبوا لله الأمثال.

والْمُعَطلة أنكروا صفات الله، وعَطَّلوا حَقَائقهَا، ومَنْ أمكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها، فلا يذكرها، ولا يذكر آية تتضمنها، ولا حديثًا يُصَرِّح بشيء منها.

---

(١) جُلُّ هذا الْمَبحَث مُستَفَاد من كلمات منثورة لشَيْخَي الإسلام: ابن تيميَّة، وابن القيِّم فِي مُصَنفاتِهمَا العظيمة، مع ترتيبها ورَصفهَا كَمَا ترى.

ومَنْ لَمْ يُمكنه تعطيل ذكرها؛ سَطَا عليها بالتحريف، ونَفى حقيقتها، وجعلها لا معنَى لَهَا، أو معناه من جنس الألغاز والأحاجي.

فَغَلَوا فِي التنْزيه حتَّى نزَّهُوه عَمَّا وَصَفَ به نفسه من الكَمَال، وألْحَدُوا فِي أسْمَاء الله وآياته.

- ولِهَذَا كان الْمُمَثِّل يعبد صَنَمًا.
- والْمُعَطِّل يعبد عَدَمًا.
- والْمُوَحِّد يعبد إلَهًا واحدًا صَمَدًا، له الْمَثَل الأعلى والصِّفَات الْحُسنَى.

أمَّا أهل السنَّة والْجَمَاعَة فيثبتون لله بِما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال على وجه التفصيل، إثباتًا بلا تكييف أو تَمثيل، وينَزهُونه عن مُشَابَهة الْمَخلوقين تنْزيهًا بلا تَحريف أو تعطيل.

فجمعوا بين الْحُسْنَيين: الإثبات والتنْزيه.

وسلموا من الإساءتين: التكييف والتمثيل، والتحريف والتعطيل.

فآمنوا بأنَّ الله سبحانه ليس له سَمِيٌّ ولا ندٌّ، ولَمْ يكن له كفوًا أحَد: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ [الشورى:١١]. وكل ما سواه عباد له فُقَرَاء إليه.

قال الإمام ابن القيم:

لَسنَا نشَبِّه وَصْفَهُ بصِفَاتنَا
إنَّ الْمُشَبِّهَ عَابِدُ الأوْثَانِ

كَلاَّ وَلا نُخَلِّيهِ مِنْ أوْصَافِه
إنَّ الْمُعَطِّلَ عَابِدُ الْبُهْتَانِ

مَنْ مَثَّلَ الله العَظِيمَ بِخَلْقِه
فَهُوَ النَّسِيبُ لِمُشْرِكٍ نصْرَانِي

أو عَطَّلَ الرَّحْمَنَ مِنْ أوْصَافِه
فَهُوَ الْكَفُورُ وَلَيْسَ ذَا إيْمَانِ

٢- وسط في أفعال الله بين الجبرية والقدرية:

- فالْجَبريَّة -وهم القَدَريَّة الْمُشركيَّة-: غلوا فِي إثبات القَدَر، وزعموا أنَّ العَبدَ مَجبُورٌ عَلَى أفعاله، لا قدرة له عليها، فنفوا عنه الإرادة والاختيار، وجعلوا أفعاله كلها كَحَركَات الأشجار، وحَرَكَات الْمُرتَعش، والرِّيشَة فِي هُبُوب الريح!! وزعموا أنه مَجبُور على فعله مَقهُور، لا تأثير له فيه ألبتة، فَسَلبوا العَبدَ قدرته واختياره، فَشَابَهُوا

الْمُشركين القائلين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨].

حتَّى بالغ غُلاتُهُم فَزَعموا أنَّ فِعْل العبد هو عين فِعْل الله، ولا ينسب إلَى العبد إلاَّ على سبيل الْمَجَاز، وأنَّ الله يلوم العبد ويُعَاقبه على ما لا صُنع له فيه، ولا إرادة، ولا اختيار.

والقَدَريَّة -وهُم الْمَجُوسيَّة-: جَعَلوا العَبدَ خَالقًا لفعله عَلَى وَجه الاستقلال، ونفوا تقدير الله عليه، ونفوا تعلق قُدرة الله بأفعال العَبد، فأفعاله لا تدخل تَحت مشيئة الله وإرادته!! فَشَابَهُوا الْمَجُوس من حيث إنَّهُم أثبتوا خَالقًا مع الله -وهو العبد الذي يَخلق فعل نفسه-.

حتَّى بالغ غُلاتُهُم فزعموا أن الله لا يعلم بالشيء إلاَّ بعد وقوعه -تعَالَى الله عن ذلك-.

قال ابن القيم -يصف الْجَبريَّة-:

وَالْعَبـــدُ عِنْدَهُـــم فَلَيْسَ بِفَاعِـــل
بَـــلْ فِعْلـــهُ كَتَحَـــرُّكِ الرجْفَـــانِ

وَهُبُـــوب رِيح أَوْ تَحَـــرُّك نَائِـــم
وَتَحَـــرُّك الأشْجَـــار للمَيَـــلاَنِ

وَالله يُصليهِ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ
أفْعَالِهِ حَرَّ الْحَمِيم الآنِ

أمَّا أهل السنَّة والْجَمَاعَة: فأثبتوا للعبد مَشيئة واختيارًا بِهِمَا يستحق الثواب والعقاب، لكن لا يَجْعَلونه مُستَقلاًّ فِي ذلك، بل يَجْعَلون مشيئته وإرادته تابعة لمَشيئة الله وإرادته، كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

ويَجعلون العبد وأفعاله من خلق الله، كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

ويعتقدون أنَّ مَا يعمله العَبدُ من الْحَسَنات إنَّمَا هو بفضل الله ورَحْمَته ومن نعمته، وأنَّ مَا يعمله من السيئات ينبغي عليه أن يُضيفه إلَى نفسه؛ مع علمه بأنَّ الله خالق كل موجود كَمَا قَالَ آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

فيستغفرون من الْمَعَائب، ويصبرون على الْمَصَائب، ويعتقدون أنَّ كُلَّ نعمة فهي فضل، وأنَّ كُلَّ نقمة فهي عدل.

ويعتقدون أنه لا حُجَّة لأحد على الله فِي ترك مأمور ولا فعل مَحظور، وأنَّ كُلَّ ما خَلَقه الله فَلَهُ فيه حكمة يُحبهَا ويَرضَاهَا.

وأنه تعَالَى يأمر بالإيْمَان والعَمَل الصَّالِح، ويُحب الْحَسَنات ويَرضَاهَا، ويُكرم أهلها ويُثيبهم، ويرضى عنهم ويُحبهم.

ويَنهَى عن السَّيئات: من الكُفْرَان، والفُسُوق، والعصيان، وهو يبغض ذلك، فهو وإن كان بِمَشيئته؛ فهو يسخطه، ولا يُحبه، ولا يرضاه، وأنَّ مشيئته لذلك إنَّمَا هي لِحكمَة عظيمة.

وأنَّ أفعال العباد كلها من الطَّاعَات والْمَعَاصي دَاخلة فِي خلق الله وقضائه وقدره، ولكنهم هم الْفاعلون لَهَا لَمْ يَجبرهم عليها، مع أنَّهَا وَاقعة بِمَشيئتهم وقُدرَتهم.

قال العلامة السَّفَارِيني:

أفْعَــالُنَــا مَخْلُــوقَــــةٌ لِلَّـــه
لَكنَّهَا كَسب لَنَــا يَــا لاهِــي

وَكُــلُّ مَــــا يَفْعَلُــهُ العِبَــادُ
مِنْ طَاعَــة أو ضِــدِهَا مُــرَادُ

لِرَبِّنَا مِـــنْ غَيْـــرِ مَا اضْطِـــرَارِ

مِنْـــهُ لَنَا فَافْهَـــمْ وَلاَ تُمَـــارِي

٣- وسط في وعيد الله بين الْمُرجئة والْمُعتزلة والخوارج:

فالْمُرجئة: غَلَّبوا جَانب الوَعْد، وأهْمَلُوا جَانب الوَعيد، وقالوا: الإيْمَان هو تصديق القلب فقط، وإن لَمْ ينطق أو يعمل به، فلا يَضُرُّ مع الإيْمَان ذنبٌ أو معصية -صغيرة كانت أو كبيرة- مَا لَمْ تصل إلَى الكفر، كما لا ينفع مع الكفر طاعة أو عبادة، فأخرجوا الأعمال الظاهرة والباطنة من الإيْمَان، ولذا سُمُّوا "مُرجئة"، وجَوَّزُوا عَلَى الله أن يُعَذِّبَ الطائعين، وأن يُنعم العاصين.

أمَّا الْخَوَارج والْمُعتزلة: فَغَلَّبوا جانب الوَعيد، وأهْمَلوا جَانب الوعد، وجَعَلوا مُرتكب الكبيرة الَّتِي دون الشرك خَارجًا من الإيْمَان بالكلِّيَّة فِي الدُّنيَا خَالدًا مُخَلدًا فِي النار فِي الآخرة.

أمَّا أهل السنَّة والْجَمَاعَة: فأعملوا نصوص الوعد ونصوص الوعيد جَميعًا، وجعلوا مُرتكب الكبيرة ليس خَارجًا من الإيْمَان فِي الدُّنيَا، بل معه بعض الإيْمَان وأصله، وفِي الآخرة أمره إلَى الله إن شاء عَذَّبه، وإن شاء عَفَا عنه، وإذا عَذَّبه فإنه لا يُخَلَّد فِي النار

كَمَا يُخلَّد الكُفَّار، بل يَخرج منها بعد التطهير، أو الشفاعة، أو فضل الله ورَحْمَته، ويدخل جنَّة الرَّحيم الغفَّار.

فلا يُخلد فِي النار مَنْ فِي قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيْمَان ولو فعل الكبائر: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

قال العلامة حافظ الْحَكمي:

إيْمَـــانُنَـــا يَـــزِيـــدُ بالطَّاعَـــات
وَنَقْصُـــهُ يَـــكُــــونُ بالـــزَّلاَّتِ

وَأهْلُـــهُ فِيـــهِ عَلَـــى تفَـــاضُـــلِ
هَلْ أَنْتَ كَالأمْـــلاكِ أو كَالرُّسُلِ

وَالفَـــاسِـــقُ الْمِلِّـــيُّ ذُو العِصْيَانِ
لَـــمْ يُنْـــفَ عَنْـــهُ مُطْلَق الإيْمَان

لَكِـــنْ بِقَـــدْرِ الفِسْقِ والْمَعَاصِي
إيْمَانُـــهُ مَـــا زَالَ فِـــي انتِقَـــاصِ

وَلاَ نَقُـــــولُ إنَّـــهُ فِـــي النَّـــارِ
مُخَلَّـــــــدٌ بَـــلْ أَمْـــرُهُ للبَـــارِي

تَحْـــتَ مَشيئَـــة الإلَـــهِ النَّافِـــذَهْ

إنْ شَـــا عَفَا عَنْـــهُ وَإنْ شَا آخَذَهْ

بِقَـــــدْرِ ذَنْبِـــهِ وَإلَـــى الْجنَـــانِ

يُخْـــرَجُ إنْ مَـــاتَ عَلَـــى الإيْمَانِ

وَلاَ نُكَفِّـــرُ بِالْمَعَـــاصِـــي مُؤمِنَـــا

إلاَّ مَـــعَ اسْتِحْلاَلِـــهِ لِمَـــا جَنَـــى

٤- وسط في أسماء الإيمان والدين بين الْمُرجئة والْمُعتزلة والخوارج:

فَالْمُرجئة: فَرَّطُوا، وجَعَلوا العَاصي مُؤمنًا كَامل الإيْمَان، بل إيْمَانه كَإيْمَان الأنبياء.

والْخَوَارج والْمُعتَزِلة: أفرطوا، فَأخرَجُوا العَاصي من الإيْمَان؛ لأنَّ الإيْمَان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

ثُمَّ حَكَمَت الْخَوَارج بكفره.

وقالت الْمُعتَزلة: إنه فِي منْزلة بين الْمَنْزلتين، فلا مُسلم ولا كافر، ولكنه خَالد فِي النَّار كَمَا قالت الْخَوَارج.

* **ومن ثَمَّة اتفق الْمُعتزلة والْخَوَارج على أمرين، واختلفوا فِي أمرين:**

- اتفقوا على نفي الإيْمَان عن مرتكب الكبيرة، وعلى خلوده فِي النار مع الكفار.

- واختلفوا فِي تسميته كافرًا، وفِي استحلال دَمه وماله فِي الدُّنيَا.

أمَّا أهل السنَّة والْجَمَاعَة: فوصفوا العاصي بأنه مُؤمن ناقص الإيْمَان، فَلَمْ يَجعلوه مُؤمنًا كامل الإيْمَان -كَمَا قالت الْمُرجئة-، ولَمْ يَجعلوه خَارجًا من الإيْمَان -كَمَا قالت الْخَوَارج والْمُعتزلة-.

بل قالوا: هو مؤمن بإيْمَانه، فاسق بِكبيرته، مُستَحق للوعد بإيْمَانه، وللوعيد بِمَعَاصيه، ومع ذلك لا يُخَلد فِي النار.

فلم يعطوه الإيْمَان الْمُطلق -وهو كَمَاله-، ولَمْ يسلبوا عنه مُطلق الإيْمَان -وهو أصله-.

ويعتقدون أنه يَجتمع فِي العبد إيْمَان ومعصية، وحب وبغض، فيُحَبُّ عَلَى ما عنده من الإيْمَان، ويُبْغَضُ على ما عنده من الفُسُوق والعصيان، وأنَّ الإيْمَان الْمُطلق التام يَمنع من دُخُول النار، وأنَّ الإيْمَان الناقص يَمنع من الْخُلود فيها.

قال الإمام الْحَافظ ابن أبي داود السجستاني:

وَلاَ تُكَفِّرَن أهْلَ الصَّلاةِ وَإنْ عَصَوا
فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو العَـرْشِ يَصْفَحُ

وَلاَ تَعْتَقِـدْ رَأيَ الْخَـوَارِج إنَّـهُ
مَقَال لِمَنْ يَهْـوَاه يُـرْدِي وَيَفْضَحُ

وَلاَ تَـكُ مُرْجِيًّـا لعـُوبًا بدِينِـهِ
ألاَ إنَّمَـا الْمُرْجِـيُّ بالدِّينِ يَمْـزَحُ

٥- وسط في الصحابة بين الخوارج والرافضة:

فالْخَوَارج: كَفَّرُوا عَلَيًّا ومُعَاوية رضي الله عنهما ومَنْ معهما، وقَاتَلوهُم، واستحلوا أموالَهُم ودمَاءَهُم.

والرَّوَافض: غَلَوا فِي عَليٍّ وفاطمة وأولادهمَا رضي الله عنهم، وجَفَوا فِي حَقِّ أكثر الصَّحَابَة؛ فَأبغَضُوهُمْ وسَبُّوهُمْ ولَعَنوهُمْ، بل ربَّمَا كَفَّروهُمْ.

أمَّا أهل السنَّة والْجَمَاعَة: فيحبون الصَّحَابَة جَميعًا، ويُوَالونَهُم، ويُنْزلونَهُم مَنَازلَهُم، ويَنشُرُون فَضَائلهم، ويَكُفُّون عن مَسَاويهم وما

شَجَرَ بينهم، ولا يَقُولون بعصمتهم، ويعتقدون أَنَّهُم أولَى الأمَّة فِي كُلِّ خصلة كَمَال، حقهم التعظيم والإجلال لسابقتهم فِي الإِيْمَان، ونصرتِهم للنَّبِي ﷺ وجهادهم وهجرتِهم معه.

وهم وسط كذلك بين الغالية فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه الذين يُفَضِّلونه على أبِي بكر الصِّدِّيق، وعُمَر الفاروق، وعثمان ذي النُّورين رضي الله عنهم. ويعتقدون أنه الإمام الْمَعصُوم دُونَهُم، بل ربَّمَا جَعَلوه نبيًّا أو إلَهًا، وأنَّ الصَّحَابة ظلموا وفَسَقُوا بل ارتدُّوا بعد نبيهم ﷺ!! فلا ولاء عندهم إلاَّ ببراء: لا ولاء لعليٍّ إلاَّ ببراء من أبِي بكر وعمر، وبين الْجَافية الذين قَدَحُوا فِي خلافة عَلِيٍّ وإمامته، فيعتقدون أنَّ الْخُلَفَاء الرَّاشدين الْمَهديين جَميعًا خير أصحاب رسول الله ﷺ، بل خير الأمة بعد نبيها، وترتيبهم فِي الفضل كترتيبهم فِي الْخلافَة.

قال الشيخ أبو مُحَمَّد القحطانِي:

وَاحْفَظْ لأهل البَيْتِ وَاجب حَقِّهِم

وَاعْـرِفْ عَلِيًّا أيَّمَـا عِرْفَـانِ

لاَ تَنْقُصْـهُ وَلاَ تُـزِدْ فِي قَـدْرِه

فَعَلَيْـهِ تَصْلَـى النَّـار طَـائفتَانِ

إِحْدَاهُمَا لاَ تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً

وَتَنْصِبُهُ الأُخْرَى إِلَهًا ثَانِ

قال شيخ الإسلام بن تيمية فِي "العقيدة الواسطية" ملَخِّصًا ما سبق:

"فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَاب صفات الله ﷻ بين أهل التعطيل الْجَهميَّة وأهل التمثيل الْمُشَبِّهة، وهُمْ وَسَطٌ فِي باب أفعال الله بين الْجَبريَّة والقدريَّة وغيرهم، وفِي باب وعيد الله بين الْمُرجئة والوَعيديَّة من القدريَّة وغيرهم، وفِي باب أسْمَاء الإيْمَان والدِّين بين الْحَرُوريَّة والْمُعتَزلة، وبين الْمُرجئة والْجَهميَّة، وفِي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرَّافضَة والْخوَارج".

"وَهُمْ وَسَطٌ فِي سَائر أبواب السنَّة، ووسطيتهم فيها رَاجعة لتمسكهم بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السَّابقون الأولون من الْمُهَاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان -رضي الله عنهم أجْمَعين-"[١].

٭٭٭

(١) "مَجْمُوع الفَتَاوى" لشيخ الإسلام بن تيميَّة (٣/٣٧٥).

ما يضاد الوسطية

إنَّ الوَسَطيَّة والاعتدال هي مَنهَج الإسلام الصَّحيح، وهي الصِّرَاط الْمُستَقيم الذي أمر الْمُسلم بسلوكه، والتزامه دعاء ربه أن يثبته عليه فِي اليوم والليلة سبع عشرة مرة فِي أقدس مَقَام وأشرف مكان، وهو يُنَاجي ربَّه مُتَجَافيًا عن غلوِّ اليهود وتفريط النصارى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]. ولكن سبيل مَنْ أنعم الله عليهم وهم أهل الصِّرَاط الْمُستَقيم الذين أشار إليهم ربنا بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٢].

فكل انْحِرَاف وَقَع فِي الأمم السَّابقة واللاحقة، فسببه إمَّا غُلوٌّ أو تقصير، أو إفراط أو تفريط، فالعصمة فِي الوَسَطيَّة والاعتدال والاستقامة عليه.

لذلك قال بعض السلف: "دينكم بين الغَالِي فيه، والْجَافِي عنه".

وقليل من وُفِّق لِهَذَا الْمَنهَج الْمُستَقيم، فلم يَحد عنه يَمينًا أو شمَالاً؛ لذلك جعل الله أمَّة الإسلام أمَّة العدل والوَسَطِيَّة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قال الإمام ابن القيِّم:

"من كيد الشيطان العجيب أنه يُشَام النفس حتَّى يعلم أي القوتين تغلب عليها: أقوَّة الإقدام أم قوَّة الانكفاف والإحجام والْمَهَانة، وقد وقع أكثر الناس إلاَّ أقل القليل فِي هَذين الواديين: وادي التقصير، ووادي الْمُجَاوَزَة والتَّعَدِّي.

والقليل منهم جدًّا الثابت على الصِّرَاط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وهو الوَسَط"(١).

"**والفرقُ بين الاقتصاد والتقصير:** أن الاقتصاد هو التوسُّط بين طرفَي الإفراط والتفريط، وله طرفان هُمَا ضدان له: تقصيرٌ، ومُجَاوَزَةٌ.

---

(١) "إغاثة اللهفان" (١/١١٥-١١٦).

فالْمُقتَصد قد أخذ بالوَسَط، وعَدَل عن الطرفين ... والدِّين كلُّه بين هذين الطرفين، بل الإسلام قَصْدٌ بين الْمِلَل، والسنَّة قَصْدٌ بين البدع، ودين الله بين الغَالِي فيه والْجَافِي عنه ...

وما أمرَ الله بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان:

- فإمَّا إلَى غلوٍّ ومُجَاوَزَة.
- وإمَّا إلَى تفريط وتقصير.

وهُمَا آفتان لا يَخلص منهما فِي الاعتقاد القصد والعَمَل إلاَّ مَنْ مشى خَلف رَسُول الله ﷺ، وترك أقوال الناس وآراءهم لِمَا جَاءَ به، لا مَنْ ترك ما جَاءَ به لأقوالِهم وآرائهم.

وهذان الْمَرَضَان الْخطِرَان قد استوليا على أكثر بنِي آدم، ولِهَذَا حَذَّر السَّلَفُ منهما أشَدَّ التحذير، وخَوَّفوا مَنْ بُلِيَ بأحدهِمَا بالْهَلاك.

وقد يَجتمعان فِي الشخص الواحد كَمَا هو حال أكثر الْخَلق: يكون مُقَصِّرًا مُفَرِّطًا فِي بعض دينه، غَالِيًا مُتجَاوزًا فِي بعضه، والْمَهْديُّ من هَدَاهُ الله"[١].

---

(١) "الروح" (٢/٧٥٢).

١- الغلو، والطغيان، والإفراط:

* **الغلوُّ فِي اللغة:** مُجَاوَزَة الْحَدِّ والقدر.

* **واصطلاحًا:** قال شيخ الإسلام بن تيميَّة: "الغلو: مُجَاوَزَة الْحَدِّ بأن يُزَادَ فِي الشيء فِي حَمده أو ذَمِّه على ما يستحق ونَحو ذلك"[١].

وعَرَّفه **الشاطبي وابن حجر** بأنه: "الْمُبَالغة فِي الشيء والتشديد فيه حتَّى يَتَجَاوز الْحَدَّ"[٢].

قَالَ الله تعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

وقَالَ رسول الله ﷺ: «**إيَّاكُمْ وَالغُلُو، فَإنَّمَا أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ الغُلُو فِي الدِّينِ**»[٣].

* **والطغيان فِي اللغة:** مُجَاوَزَة الْحَد فِي العصيان والضَّلال.

* **واصطلاحًا:** "إفراط الاعتدال فِي حُدُود الأشياء ومَقَاديرها"[٤].

---

(١) "اقتضاء الصِّرَاط الْمُستَقيم" (١/٢٨٩).

(٢) "الاعتصام" (٣/٣٠٤)، و"فتح الباري" (١٣/٢٧٨).

(٣) أخرجه أحْمَدُ والنسائي، وانظر: "صحيح سنن النسائي" (٢٨٦٣) لشيخنا العلامة الألبانِي -رَحِمَه الله-.

(٤) "التوقيف على مُهمَّات التعريف" (ص٢٢٧) للمناوي.

قال الله تعالَى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾.

※ **والإفراط لغة:** التجاوز عن الْحَدِّ، ويُقَابله التفريط.

※ **واصطلاحًا:** قال الإمام الطبري: "**الإفراط:** الإسراف والإشطاط والتعَدِّي"(١).

قال الله تعالَى على لسان موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه:٤٥].

٢- الجفاء، والتفريط:

※ **الْجَفَاء فِي اللغة:** البعد والترك.

※ **واصطلاحًا:** "التغلظ فِي العِشْرَة، والْخَرَق فِي الْمُعَاملة، وترك الرفق فِي الأمور"(٢).

قَالَ رسول الله ﷺ: «**البَذَاءُ مِن الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاء فِي النَّار**»(٣).

---

(١) "جامع البيان" (٨/٤٢٠).

(٢) "التوقيف على مُهمَّات التعريف" (ص١٢٧) للمناوي.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٤)، والترمذي (٢٠٠٩)، وانظر: "صحيح الْجَامع" (٣١٩٤).

وقَالَ: «إنَّ منْ إجْلال الله إكْرَامَ ذِي الشيبَة الْمُسْلم، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَير الغَالِي فِيهِ والْجَافِي عنه، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَان الْمُقْسِط»(١).

❋ **والتفريط فِي اللغة:** التضييع، والتقصير، والتوانِي.

❋ **واصطلاحًا:** "هو التقصير والوقوف دون الْحَدِّ فِي الأمور.

فإذا كان حد الاعتدال فِي أمر من الأمور هو عشر درجات:

كان الإفراط: تَجَاوز ذلك إِلَى إحدى عشرة فما فوقها.

وكان التفريط: هو تَحصيل تسع فما دونَهَا"(٢).

قال الله تعَالَى:

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:٣١].

"**ولقد أحسن من قال:**

إذا خرج الشيء عن حَدِّه انقلب إِلَى ضده؛ فالشَّجَاعَة إذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحَسَّنه شيخنا الْمُحَدِّث الإمام ناصر الدين الألباني -رَحِمَه الله-.

(٢) "الكليات" (ص١٥٥) للكفوي.

لَمْ تضبط صَارَت تَهَوُّرًا، والْجُود إذا لَمْ يُضبط صار إسرافًا، والتواضع إذا لَمْ يُضبط صار ذلَّة ومَهَانة وخُنُوعًا، وهكذا، وخير الأمور أوساطها كما قال الْحَسَن البصري"(١).

تمت وبالخير عمت بإذنه تعالى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊

(١) "لسان العرب" (٤٨٣/٨).

فهرس الموضوعات



رَفعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الوسطية
من خصائص أمة الإسلام وأهل السنة
بقلم
الدكتور محمد بن موسى آل نصر